العنوان:	طمأنينة الإنسان في ضوء آي القرآن الكريم
المصدر:	مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية - السودان
المؤلف الرئيسي:	بخيت، بكري محمد
المجلد/العدد:	عدد خاص
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2015
الشهر:	أبريل
الصفحات:	41 - 59
رقم MD:	690543
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	الطمأنينة، الطمأنينة في القرآن الكريم
رابط:	

طمأنينة الإنسان في ضوء آي القرآن الكريم

د. بكري محمد بخيت[1]

المقدمة:

الحمد الله وحده والصلاة والسلام علي من لا نبي بعده محمد بن عبدالله نشهد انه قد بلغ الرسالة وادي الأمانة وتركنا علي المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عهنا إلا هالك فصلاة ربي وسلامة عليه وعلي أزواجه وذريته وآل بيته الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً. وبعد.

فإن من رحمة الله تعالى بالخلق أن أوجدهم من العدم فسواهم وأحسن صورهم ورزقهم من الطيبات ثم أرسل إليهم الرسل فبينوا لهم الحلال والحرام وفصلوا لهم الاحكام. فالسعيد من هداه ربه الي إتباع رسله الكرام والشقي من تولي عن ذلك وأعرض. وقد قال تعالى مذكراً لهم: ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾[2] وقال أيضا: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ فان الخير والرحمة والطمأنينة والسكون في اتباع أمر الله: ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾[3] فهو الذي خلق النفوس ويعلم ما يصلحها وما يفسرها: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾[4] والشر كل الشر في الإعراض عن ذكر الله تعالى وعن هديه فان المصائب والنقم والشعور بالخوف وفقدان الأمن والطمأنينة لا تأتي إلا حينما يغرف الناس في المعاصي والشهوات: ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾[5] وأن الأمن والطمأنينة لا تكون إلا بطاعة الله و ذكره: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[6] فالأمن والطمأنينة من أعظم القيم التي يبحث عنها كل إنسان في هذه الدنيا. وقد أوضح النبي (ﷺ) أن قوام العيش في الدنيا يكون في الطمأنينة حيث قال (ﷺ) (من أصبح منكم معافى في جسده أمناً في سربه عنده قوت يومه. فكأنما حيزت له الدنيا)[7]

والإنسان في هذه الحياة محدود العمر والدنيا ليست له بداء فحري به أن يجتهد في ان يقيم نفسه علي الجادة التي أمر الله تعالى بها حتى تكون نفسه مطمئنة راضية بما كتب الله

---

(١) أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم بالجامعة

(٢) سورة طه، آية رقم (١٢٣- ١٢٤)

(٣) سورة طه، آية رقم (٥٠)

(٤) سورة الشمس، آية رقم (٧-٨-٩-١٠)

(٥) سورة الشورى، آية رقم (٣٠)

(٦) سورة الرعد، آية رقم (٢٨)

(٧) رواه بن ماجة في سننه، ط دار الكتب العلمية بيروت (١٤١٩هـ / ١٩٩٨م)، ج ، ص ٤٨٤، حديث رقم ٤١٤١.

تعالى لها تستحق نداء الله تعالى لها بقوله: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾[1]

وقد جاء في تفسير هذه الآية: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ التي اطمأنت بلقاء الله عز وجل ويقال المطمئنة يعني: الراضية بثواب الله تعالى القانعة بعطاء الله الشاكرة لنعمائه تعالى يقال لها عند الفراق من الدنيا: ﴿ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ ﴾ يعني ارجعي إلي (ثواب ربك إلي ما اعد الله لك في الجنة).

وفي هذا البحث سنتناول بتوفيقه تعالى موضوع طمأنينة الإنسان علي ضوء آي القرآن في المباحث التالية:

المبحث الأول: في معني الطمأنينة

المبحث الثاني: في ورودها في القرآن الكريم

المبحث الثالث: الأمور التي تجلب الطمأنينة

المبحث الرابع: الأمور التي تسلب الطمأنينة

ثم الخاتمة

ونسال الله تعالى التوفيق والسداد وأن يرزقنا نفساً به مطمئنة.

(١) سورة الفجر ، الآيات (٢٧ - ٣٠)

المبحث الأول
معنى الطمأنينة

أولاً في اللغة:

جاءت الطمأنينه في لسان العرب (أنها من طامن الشيء سكنه والطمأنينة السكون واطمأن الرجل اطمئناناً وطمأنينة أي سكن)[1] وقال الفيومي في المصباح المنير" (اطمأن القلب سكن ولم يقلق والاسم الطمأنينة واطمأن بالموضع أقام به واتخذ (وطناً)[2] ومنه قوله تعالى:﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾[3] مستوطنين الأرض)[4] وجاء في الوجيز (طمأن طمأنة وكامن الشيء سكنه تقول العامة (كمنه) أي حمله علي الطمأنينة اطمأن إليه: سكن وأمن بقال اطمأن عما كان بفعله أي تركه. الكمن جمع طمون والمطمئن الساكن)[5]

ومما تقدم نعلم أن من معاني الطمأنينة السكون للشيء وكذلك الإقامة بالمكان. كما تعني الأمن للشيء وعدم الاضطراب.

ثانياً: في الاصطلاح:

الطمأنينة وردت في الفقه في باب الصلاة وعرفها المالكية بأنها (استقرار الأعضاء زمناً في جميع أركان الصلاة)[6]

وعرفها الشافعية بقولهم

(الطمأنينة سكون بعد حركة. أو سكون بين حركتين بحيث ينفصل مثلاً رفعه عن هويه. واقلها: أن تستقر الأعضاء في الركوع مثلاً بحيث ينفصل الرفع عن الهوى)[7]

والطمأنينة عند الحنفية هي (تسكين الجوارح قدر تسبيحة في الركوع والسجود. والرفع منهما)[8] وجاء في مدارج السالكين. (الطمأنينة) سكون القلب إلي الشيء وعدم اضطرابه وقلقه. ومنه الأثر المعروف: (الصديق طمأنينة والكذب ريبة)[9]

أي الصدق يطمئن إليه قلب السامع ويجد عنده سكوناً إليه والكذب يوجب له اضطراباً

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ط مؤسسة التاريخ العربي/دار إحياء التراث العربي بيروت، د٨ ، ص ٢٠٤

(٢) الفيومي، المصباح المنير، ط المكتبة العلمية بيروت، ج٢، ص٣٧٨

(٣) سورة الإسراء، آية رقم (٩٥)

(٤) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط دار القلم دمشق/الدار الشامية بيروت (١٤١٥ هت - ١٩٩٥م) د٢، ص ٦٤٨.

(٥) نفسه

(٦) أحمد الدرير، بلفة السالك، ط دار الفكر بيروت، ج١،ص ١٠٨

(٧) نفسه

(٨) النووي، السراج الوهاج، ط دار الفكر بيروت (١٤١١هـ - ١٩٩١م) ص٤٥

(٩) ابن عابدين، رد المختار، ط دار الكتب العلمية بيروت، د٢، ص٢١٢

وارتياباً ومنه قوله (البر ما اطمئن إليه القلب)[1] أي سكن إليه وزال عنه اضطرابه وقلقه)[2]

وجـاء في الجامع لأحكام القرآن (ثم اركع حتى تطمئن راكعاً) والحديث عن طمأنينة القلب هي أن يسكن فكره في الشيء المفتقد

ومما تقدم يتبين لنا أن الطمأنينة هي عبارة عن سكون القلب ورضاه وعدم شعوره بالقلق. وهـو يواجه أقداره في الحياة. من حياة وموت وصحـة ومرض وغنى وفقر. مما يسر له القيام بالمهمة التي خلقه الله تعالى من اجلها ويحمل الأمانة التي تحملها راضياً بكل ما قد قضى الله وقدر. وقد سماها الإمام ا بن القيم رحمه الله (طمأنينة الفجر إلي الحكم) ثم يشرحها بقوله (فالمراد بها:أن من أدركه الفجر من قوة التكليف وأعباء الأمر وإثقاله ولا سـيما من أقيم مقام التبليغ عن الله. ومجاهده أعداء الله. وقطاع الطريق. فإن ما يجهله ويتحمله فوق ما يحمله النـاس ويتحملونه. فلابد أن يدركه الفجر. وضعف صبره فإذا أراد الله أن يريحه ويحمل عنه: أنزل عليه سكينته. فاطمأن إلي حكمة الدين. وحكمة القدر.

ولا طمأنينة له بدون مشـاهدة الحكمين وبحسب مشاهدته لهما تكون طمأنينة. فإنه إذا اطـمأن إلي حكمة الدين علم انه دينه الحق. وهو صراطه المسـتقيم. وهو ناصره وناصر أهله وكافيهم رواليهم.

وإذا اطمأن إلي حكمة الكون: علم انه لن يصيبه إلا ما كتب الله له. وانه ما يشاء كان وما لم يشـأ لم يكن فلا وجه للجزع والقلق إلا ضعف اليقـين والإيمان.فإن المحذور والمخوف إن لم يقدر فلا سـبيل إلي وقوعه وإن قدر فلا سبيل إلى صرفة بعد أن أبرم تقديره فلا جزع حينئذ لا مما قدر ولا مما لم يقدر)

(١) رواه أحمد، المرجع السابق، ج٤، ص٢٧٩، حديث رقم ١٨٠٢٤

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين، ط دار الجيل بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ٢د، ص٥٧٩.

المبحث الثاني

ورود الطمأنينة في القرآن الكريم

قد سبق أنه ذكر في بيات معني الطمأنينة(لغة) أنها من الفعل (اطمأن) وقد وردت تعريفات هذا الفعل في القرآن الكريم في اثني عشرموضعاً نذكرها بإذن الله تعالى ثم نتعرض للمعاني التي دلت عليها. والموضع حسب ترتيب المصحف هي:

١- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[١]

قوله: ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِن ﴾على مقدر أي ألم تعلم وتؤمن باني قادر علي الإحياء حتى تسألني إراءته﴿ قَالَ بَلَى ﴾ علمت وآمنت بأنك قادر علي ذلك. ولكن سالت ليطمئن قلبي باجتماع دليل العيان الي دلائل الإيمان. وقد ذهب الجمهور إلي أن إبراهيم لم يكن شاكاً في إحياء الموتي قط. وإنما طلب المعانية لما جبلت عليه النفوس البشرية من رؤية ما خبر عنه)[٢].

٢- قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[٣]

وهذه الآية جاءت في سياق الكلام عن موقعة بدر الكبرى حينما أمد الله تعالي المؤمنين بالملائكة تقاتل إلي جنبهم ,و قوله:﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ ﴾يعني هذا الوعد والمدد﴿ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ ﴾يعني بشارة بأنكم تنصرون فتستبشرون به﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ ﴾ أي لتسكن ﴿ قُلُوبُكُم بِهِ ﴾أي فلا تجزع من كثرة عدوكم وقلة عددكم وقوله تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ يعني لا تحيلوا النصر علي الملائكة والجند وكثرة العدد. فإن النصر من عند الله لا من عند غيره والغرض أن يكون توكلهم علي الله لاعلي الملائكة الذين أمدوا بهم. وفيه تنبيه علي الإعراض عن الأسباب والإقبال عن مسبب الأسباب وقوله ﴿الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ يعني فاستعينوا به وتوكلوا عليه لأن العز وهو كمال القدرة والقوة والحكم وهو كمال العلم لله فلا تخفى عليه مصالح عباده[٤]

٣- قوله تعالى:﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾[٥] وهذا الآية جاءت عقب الكلام عن صلاة الخوف والفراغ منها قوله: ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ﴾ يعني أمنتم وسكنت قلوبكم واصل الطمأنينة سكون القلب ﴿فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾ يعني فأتموها أربعاً فعلى هذا يكون بالطمأنينة ترك السفر والمعني فإذا صرتم مقيمين في أوطانكم فأقيموا الصلاة تامة من غير قصر. وقبل معناه فأقيموا

---

(١) سورة البقرة، آية رقم (٢٦٠).

(٢) الشوكاني، فتح القدير، ط دار الفطر بيروت، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، د١، ص٢٨١

(٣) سورة آل عمران، آية رقم (١٢٦).

(٤) الخازن، لباب التأويل، د دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج١، ص٢٩٤

(٥) سورة النساء، آية رقم (١٠٣).

الصلاة بإتمام ركوعها وسجودها فعلي هذا يكون المراد بالطمأنينة سكون القلب عن الاضطراب والأمن بعد الخوف)[1].

٤- قوله تعالى: ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[2].

وهذه الآية تتحدث عن اقتراح الحواريين لسيدنا عيسي عليه السلام أن يسال الله تعالى أن ينزل عليهم مائدة من السماء.

(ولما كان سؤال آيات الاقتراح منافياً للانقياد وللحق. وكان هذا الكلام الصادر من الحواريين. ربما أوهم ذلك. وعظهم عيسي عليه السلام فقال: ﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فان المؤمن يحمله ما معه من الإيمان علي ملازمة التقوى وأن ينقاد لأمر الله. ولا يطلب من آيات الاقتراح التي لا يدري ما يكون بعدها.

فاخبر الحواريون أنهم ليس مقصودهم هذا المعني وإنما مقاصد صالحة. لأجل الحاجة إلي ذلك: ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾ وهذا دليل علي أنهم محتاجون لها. ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ بالإيمان حين تري الآيات العيانية حتى يكون الإيمان عين اليقين. كما سال الخليل عليه الصلاة والسلام ربه.أن يريه كيف يحي الموتي: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[3].

فالعبد محتاج إلي زيادة العلم. واليقين. والإيمان كل من وقت ولهذا قال: ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ (أي: نعلم صدق ماجئت. انه حق وصدق.﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ فتكون مصلحة لمن بعدنا. نشهدها لك. فتقوم الحجة. ويحصل زيادة البرهان بذلك).

٥- قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[4]

وهذه الآية تتحدث عن موقعة بدر وقوم تقدم الكلام عن آية آل عمران بالفقرة الثانية في أول هذا البحث.

٦- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾[5].

يقول تعالى مخبراً عن حال الأشقياء الذين كفروا بلقاء الله يوم القيامة ولا يرجون في لقائه شيئاً ورضوا بهذه الحياة الدنيا واطمأنت إليها نفوسهم قال الحسن:[6] والله ما زينوها ولا رفعوها حتى رضوا بها وهم غافلون عن آيات الله الكونية فلا يتفكرون فيها والشرعية فلا يأتمرون بها فان مأواهم يوم معادهم النار جزاء علي ما كانوا يكسبون في دنياهم من الآثام

(١) الخازن، لباب التأويل، مصدر سابق، ج١، ص٤٢٣.
(٢) سورة المائدة، آية رقم (١١٣).
(٣) سورة البقرة، أية رقم (٢٦٠)
(٤) سورة الأنفال، آية رقم (١٠)
(٥) سورة يونس، آية رقم (٧)
(٦) الحسن هو التابعي الجليل الحسن البصري.

والخطايا والإجرام مع ما هم فيه من الكفر بالله ورسوله واليوم الأخر).[1]

٧- قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[2].

قولـه: ﴿ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم ﴾ يعني وتسـكن قلوبهـم ﴿ بِذِكْرِ اللّهِ ﴾ قال مقاتـل: بالقرآن لأنه طمأنينة لقلوب المؤمنين والطمأنينة والسكون إنما تكون بقوة اليقين فيها.

وقال ابن عباس: هذا في الحلف وذلك أن المسلم إذا حلف بالله تبارك وتعالى سكنت قلوب المؤمنين إليه. فان قلت أليس قد قال الله تبارك وتعالى في أول سورة الأنفال: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[3] والوجل استشعار الخوف. وحصول الاضطراب وهو ضد الطمأنينة فكيـف وصفهـم بالوجل والطمأنينة وهل يمكن الجمع بينهما في حـال واحد قلت ؛ إنما يكون الوجـل عند ذكر الوعيد والعقاب والطمأنينة إنما تكون عند الوعد والثواب فالقلوب توجل إذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وعقابه وتطمئن إذا ذكرت فضل الله ورحمته وكرمه وإحسانه)

٨- قوله تعالى ﴿ مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

اخبر الله تعالى عمن كفر به بعد الإيمان والتبصر وشرح صدره بالكفر واطمأن به أنه قد غضب عليه لعلمهم بالإيمان ثم عدولهم عنه وان لهم عذاباً عظيماً في الدار الآخرة لأنهم اسـتحبوا الدنيا عـلي الآخرة فأقدموا عليه من الـردة لأجل الدنيا ولم يهد الله قلوبهـم وثبتهم علي الدين الحق. وأما قوله: ﴿ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾ فهو استثناء ممن كفر بلسانه ووافق المشركين بلفظه مكرها لما ناله من ضرب وأذى وقلبه يأبى ما تقول وهو مطمئن بالإيمان بالله ورسوله)[4] كما قال ابن عباس (نزلت في عمار بن ياسر وذلك أن المشركين أخذوه وأباه ياسراً وأمه سـمية وصهيباً وبلالاً وخباباً وسالماً فأما سمية فإنها ربطت بين بعيرين زوجي قبليها بحرية وقبل لها إنك أسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل زوجها ياسر وهما أول قتيلين قتلا في الإسلام.

وأما عمار فانه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها فاخبر النبي ﷺ (بأن عماراً كفر فقال كلا أن عماراً ملئ إيماناً من قرنه الي قدنه وأخلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمارالرسول ﷺ وهو يبكي فجعل رسول يمسح عينيه وقال إذا عادوا لك فعد لهم بما قلت)[5].

٩- قولـه تعالى: ﴿ وَضَـرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾[6].

(١) ابن كثير، تفسير القرآن الكريم العظيم، ط دار المعرفة بيروت (١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، د٢، ص٤٢٢

(٢) سورة الرعد، آية رقم (٢٨)

(٣) سورة الأنفال، آية رقم (٢)

(٤) الخازن، لباب التأويل، مرجع سابق، ج٣،ص١٧.

(٥) الواحدي، أسباب النزول، ط مكتبة المتنبي القاهرة، ص١٦٠

(٦) سورة النحل، أية رقم (١١٢).

هــذا مثل أريد به أهل مكة فإنها كانت آمنه مطمئنة مســتقرة يتخطف الناس من حولها. ومِــن دخلهــا كان آمناً لا يخاف كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1].

وهكذا قال هناك: ﴿ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا ﴾ أي هنيئاً ســهلاً ﴿ مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ﴾ أي جحدت الاء الله عليها وأعظمها بعثة محمد إليهم كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾[2] ولهذا بدلهم الله بخاليهم الأولين خلافهما فقــال: ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾ أي البســها وأذاقها الجوع بعد أن كان يجبى إليهم ثمرات كل شيء ويأتيها رزقها رَغداً من كل مكان وذلك أنهم اســتعصوا علي رســول الله وأبو إخلافه فرعا عليهم بسبع كسبع يوسف فإصابتهم سنةأذهبت كل شيء لهم)

١٠- قولــه تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُــونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّــمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾[3].

قال تعالى: ﴿ قُل ﴾ يا محمد ﴿ لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُــونَ ﴾ أي: لو كان ســكان الأرض ملائكة يمشــون ﴿ مُطْمَئِنِّينَ ﴾ أي: مقيمين في الأرض ﴿ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّــمَاءِ مَلَكًا رَّسُــولًا ﴾ أي: لبعثنا عليهم رسولاً من الملائكة وإنما يبعث الملك إلي الملائكة والبشر الي البشر[4].

وقيل في معني قوله: ﴿ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ ﴾ يمشون علي أقدامهم كما يمشي الإنسي ساكنين في الأرض مستقرين عليها)[5].

١١- قــول تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّــاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾[6].

قــال أكــثر المفسرين (الحرف الشــك. وأصله من حــرف الشيء وهو طرفه. مثــل حرف الجبل والحائــط. فان القائم عليه غير مســتقر والــذي يعبد الله علي حرف قلــق في دنيه على غير ثبات وطمأنينة كالذي هو علي حرف الجبل ونحوه يضطرب اضطرابً ويضعف قيامة. فقيل للشــاك في دنية إنه يعبد الله علي حرف ن لأنه علي غير يقين من وعده. بخلاف المؤمن لأنه بعبده علي يقين وبصيرة فلم يكن علي حرف وقيل الحرف الشرط: أي ومن الناس من يعبد الله علي شرط. والشرط هو قوله: ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ﴾ أي خير دنيوي من رخاء وعافية وخصب وكثرة مال. ومعني

(١) سورة القصص، آية رقم (٥٧)
(٢) سورة إبراهيم، الآيات (٢٨-٢٩)
(٣) سورة الإسراء، آية رقم (٩٥)
(٤) أبو الليث السمرقندي، بحر العلوم، مرجع سابق، ج٢، ص٦١٠
(٥) نفسه
(٦) سورة الحج، آية رقم (١١)

اطمأن به ثبت علي دنيه وأشمر علي عبادته. أو اطمأن قلبه بذلك الخير الذي إصابه)[1].

١٢- قوله تعالى:﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾[2]

قولـه تعـالى:﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ لما ذكر حـال من كانت همته الدنيا فاتهم الله في اغنائه وإفقاره. ذكر حال من اطمأنت نفسـه إلي الله تعالى. فلم لأمره. واتكل عليه. وقيل: هو من قول الملائكة لأولياء الله عز وجل والنفس المطمئنة: السـاكنة المؤمنة. أيقنت أن الله ربها. فاخبت لذلك)[3].

فهـذه هي المواضع التي ذكرت فيها الطمأنينة ومعانيهـا في القرآن ومما تقدم يتبين لنا أن الطمأنينة والاطمئنان وما اشـتق منها جاءت بعدة معان منها سكون القلب منها الميل والرضا ومنها الإقامة وعدم السـفر ومنها الاسـتيطان في الأرض. وطمأنينة النفس المقصورة هي يقينها بالله وثباتها علي أمره ورضاها بقضائه وقدره خيره وشره.

(١) الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ج٣،ص٤٤٠

(٢) سورة الفجر، آية (٢٩)

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن/ مرجع سابق/ج٢ ص٥٧

المبحث الثالث

الأمور التي تجلب الطمأنينة

وردت أشارات في بعض لآيات المتقدمة أن للطمأنينة أسباب لو توفرت حصلت في النفس والقلب كما جاء في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[1].

وذكر الله تعالى شامل وجامع يشمل ذكره تعالى باللسان قولاً. بالقلب تفطراً ويقيناً. وبالجوارح عملاً. وسنتناول في هذا المبحث بإذن الله تعالى نموذجاً لأعمال القلب وهو الإيمان بالله تعالى. ونموذجاً لأعمال اللسان وهو تلاوة القرآن ونموذجاً للجوارح وهو الصلاة ذات الأركان.

أولا: الإيمان بالله تعالى:

الإيمان بالله تعالى هو أصل الحياة تقوم عليه فالإنسان من غير أن يؤمن بالله ويصدق به ويتعرف عليه.لا يمكن أن يعرف من هو؟ ولا لم خلق؟ لأن الإيمان بالله يعطي الإنسان تصوراً كاملاً للحياة فيعيش متصلاً بربه وخالقة شاكراً لنعمه وصابراً علي بلائه متصالحاً مع نفسه ومع الأخرين (والإيمان بالله إذا ما بث في نفس الإنسان منذ الصغرر فانه يكسبه متاعه ووقاية من الإصابة بالأمراض النفسية وقد وصف القرآن ما يحدثه الإيمان من أمن وطمأنينة في نفس المؤمن بقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[2]

وقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[3]

وتتحقق للمؤمن سكنية النفس وأمنها وطمأنينتها لأن إيمانه الصادق بالله يمده بالأمل والرجاء في عون الله ورعايته وحمايته.

إن المؤمن بالله إيماناً صادقاً لا يخاف من شيء في هذه الحياة الدنيا فهو يعلم انه لا يمكن ان يصيبه شر أو أذى إلا بمشيئة الله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[4].

والمؤمن الصادق الإيمان يعلم أيضاً أن رزقه بيد الله سبحانه وتعالى وأنه سبحانه وتعالى قد قسم الأرزاق بين الناس وقدرها ولذلك فهو لا يخاف الفقر. وإذا قدر الله تعالى له ان يقل رزقه فهو راض بما قدره الله له. قال تعالى: ﴿اللّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ﴾[5] وقال أيضا: ﴿وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[6]

---

(١) سورة الرعد، آية رقم (٢٨)

(٢) سورة الأنعام، آية رقم (٨٢)

(٣) سورة الرعد، آية رقم (٢٨)

(٤) سورة التوبة، آية رقم (٥١)

(٥) سورة الرعد، آية رقم (٢٦)

(٦) سورة الذاريات، آية رقم (٢٢)

والمؤمن الصادق الإيمان لا يخاف الموت. إنه ينظر الي الموت نظرة واقعية. فهو يعلم انه حقيقة لا مفر منها وأن لكل إنسان أجلاً محدوداً. فإذا جاء أجله فلن يستطيع أن يؤخره.

قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾[1]. وقال أيضا: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾[2].

والمؤمن الصادق الإيمان لا يخاف من مصائب الدهر وغوائل الأيام. إنه لا يخاف أن نصيبه الأمراض. أو تقع له الحوادث. أو تحل به الكوارث. فهو يؤمن بالقضاء والقدر. ويعلم حق العلم. أن ما يحل بالناس من سراء أو ضراء إنما ابتلاء من الله تعالى ليعلم من سيحمده علي ما يناله من سراء. ومن سيصبر علي ما يناله من ضراء. ولذلك فهو لا يجزع إذا أصابه شر بل يتحمل ويصبر ويحمد الله تعالي ويدعوه أن يرفع عنه الشر والبلاء قال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[4].

والمؤمن الصادق الإيمان لا يجتر أحزانه ولا يعيش مهموماً بذكريات الماضي. ولا ينحسر علي موافاته. لذلك يعيش في أحزانه وآلامه. كما انه إذا كان خيراً لا يبطر ولا يستنكر ولا يطغي بل يحمد الله علي ما انعم عليه من خير.

قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[5].

المؤمن الصادق الإيمان لا يشعر بالقلق الناشئ عن الإحساس الشعوري واللاّ شعوري بالذنن وهو ما يعاني منه كثير من المرض النفسيين. لأنه يعرف طريق الاستغفار والتوبة قال تعالى: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[6].

يتبين لنا مما سبق أن المؤمن الصادق الإيمان لا يخاف من الأشياء التي يخاف منها معظم الناس هي: الموت والفقر والمرض كما أنه لا يخاف الناس. ولا مصائب الدهر وهو ذو قدرة علي تحمل المصائب لأنه يري فيها ابتلاء من الله تعالي يجب أن يصبر عليه. وهو لا يكبت شعوره بالذنب. بل يعترف بذنوبه ويستغفر الله منها. فلا غرابة بعد ذلك كله. أن يكون المؤمن الصادق الإيمان آمن النفس،مطمئن القلب،يغمره الشعور بالرضا وراحة البال[7].

---

(١) سورة آل عمران، آية رقم (١٨٥).

(٢) سورة المنافقون، آية رقم (١١)

(٣) سورة الأنبياء، آية رقم (٨٣)

(٤) سورة الأنبياء، آية رقم (٣٥)

(٥) سورة الحديد، الآيات (٢٢-٢٣)

(٦) سورة النساء، آية رقم (١١٠)

(٧) د. محمد عبدالفتاح المهدي، العلاج النفسي على ضوء الأحلام، ط دار الوفاء المنصورة ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

ثانيا: تلاوة القرآن الكريم:

القرآن من أفضل أنواع الذكر كيف لا وهو كلام الله تعالى القائل: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾[1].

فالقرآن من أعظم ما يثبت القلب ويجلب له الطمأنينة وقد قال تعالى مخاطباً نبيه: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾[2]. وقال تعالى مخاطباً للناس كافه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3] وهذا هو القرآن. شفاء لما في الصدور من أمراض الشهوات الصادرة عن عدم الانقياد للشرع. وأمراض الشبهات. القادحة في العلم اليقين. فإن ما فيه من المواعظ. والترغيب والترهيب والوعد والوعيد. مما يوجب للعبد الرغبة والرهبة.

وإذا وجدت فيه الرغبة في الخير. والرهبة عن الشر ونمت علي تكرار ما يرد إليها من معاني القرآن اوجب ذلك تقديم مراد النفس. وصار ما يرضي الله أحب إلي العبد من شهوة نفسه. وكذلك ما فيه من البراهين والأدلة التي صرفها الله غاية التصريف. وبينها أحسن بيان. يزيل الشبهة القادحة في الحق. ويصل به القلب إلي اعلي درجات اليقين.

وإذا صح القلب من مرضه ورفل بأثواب العافية. تبعته الجوارح كلها. فإنها تصلح بصلاحه. وتفسد بفساده ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فالهدى هو العلم بالحق والعمل به.

والرحمة هي: ما يحصل من الخير والإحسان. والثواب العاجل والآجل. لمن اهتدى به فالهدي أجل الوسائل.والرحمة أكمل المقاصد والرغائب. ولكن لا يهتدي به ولا يكون رحمة إلا في حق المؤمنين.

وإذا حصل الهدي وحلت الرحمة الناشئة عنه حصلت السعادة والفلاح والريح والنجاح والفرح والسرور[4] وكل ذلك مما يجلب الطمأنينة والتي هي ملازمة لمن اشتغل بتلاوة القرآن كما وردت في حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكنية.وغشيتهم الرحمة. وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده)

و أوضح حديث أخر أن كثرة تلاوة القرآن تجلي القلوب مما قد يعلق بها من الشوائب والأمراض بسبب الذنوب والمعاصي. قال رسول صلى الله عليه وسلم (إن القلوب تصدأ كما

---

(١) سورة الزمر، آية رقم (٢٣).

(٢) سورة الفرقان، آية رقم (٣٢).

(٣) سورة يونس، آية رقم (٥٧)

(٤) عبدالرحمن السعدي، يسير الكريم الرحمن، ص٣٢٣

يصدأ الحديد. قيل وما جلاؤها يا رسـول الله؟ قال: كثرة تلاوة كتاب الله تعالى وكثرة الذكر لله عـز وجل) هذا وان ذكر الله تعالى بتلاوة القـرآن ومعرفة أحكامه وتدبره لهو من أعظم أنواع الطمأنينة للقلب وللنفس ولا شيء ابلغ في التعبير عن ذلك من قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ .

ثالثا: إقامة الصلاة:

الصلاة هي عماد الدين وهي أعظم صلة بين العبد ربه تكرر في اليوم خمس مرات فرضاً. وتريد نفلاً بحسـب ما يجد فيها العبد من لذة في مناجاة ربه والوقوف بين يديه والتضرع إليه وقد مدح الله تعالى عباده الخاشعين له بها فقال: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾[1]

والخشـوع في الصلاة هو: حضور القلب بين يدي الله تعالى مستحضراً لقربه، فيسكن لذلك قلبه. وتطمئن نفسـه. وتسـكن حركاته. ويقل التفاته. متأدباً بين يدي ربه. مستحضراً. جمع ما يقوله ويفعله في صلاته. ومن أول صلاته إلي أخرها. فتنتفي بذلك الوسـاوس والأفكار الرديئة. وهذا روح الصلاة والمقصود منها[2]. إن وقوف الإنسـان في الصلاة أمام الله سـبحانه وتعالى في خشـوع وتضرع يهده بطاقة روحية تبعث فيه الشـعور بالصفاء الروحي. والاطمئنان القلبي والأمن النفسي. ففي الصلاة إذا ما أداها الإنسـان كما ينبغي لأن تؤدي. ويتوجه الإنسـان بكل جوارحـه وحواسـه إلي الله تعـالى وما يردده من آيـات القرآن إن هذا إلا انـصراف التام عن مشـكلات الحياة وهمومها. عدم التفكر فيها. أثناء الصلاة. وقوفه أمام ربه في خشـوع تام من شأنه أن يبعث في الإنسان حالة من الاسترخاء التام وهدوء النفسي وراحة العقل[3]

يقـول الإمام ابن القيم رحمه الله (وأما الصلاة فشـأنها في تصريـح القلب وتقويته. شرحه وابتهاجه ولذته اكبر نشان. وفيها من اتصال القلب والروح بالله. وقربه والتنعم بذكره. والانتهاج بمناجاته. والوقوف بين يديه. واستعمال جميع البدن وقواه وآلاته في عبوديته. وإعطاء كل عضو حظه منها. واشتغاله عن التعلق بالخلق وملابستهم ومحاورتهم. وانجذاب قوى قلبه وجوارحه إلي ربه وفاطره وراحته من عدوه حالة الصلاة ما صارت به من اكبر الأدوية والمفرحات والأغذية التي لا تلائم إلا القلوب الصحيحة)[4].

وقد كان الرسول ﷺ يقول لبلال رضي عنه حينما تحين أوقات الصلاة (أرحنا بالصلاة يا بلال) وفي الحديث أن رسول الله » قال: (حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة)[5].

---

(١) سورة المؤمنون، آيات (١-٢)

(٢) عبدالرحمن السعدي، يسير الكريم الرحمن، ص٤٩٦

(٣) د. محمد عبدالفتاح المهدي، العلاج النفسي على ضوء الإسلام، ط دار الوفاء المنصورة ١٤١١هـ، ص١٠٦

(٤) ابن القيم، الطب النبوي، ط دار مؤسسة الرسالة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص٢٠٩.

(٥) رواه أحمد في مسنده، مرجع سابق/ ج٧، ص١٥٧، حديث رقم ١٢٣٠١

وفي السنن (كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلي)[1] ومعني حزبه أي أهمه وهذا كله يؤكد ما الصلاة من بث الطمأنينة والراحة النفسية عند المسلم. ذلك لأن (الصلاة بتواليها ودوامها تضمن مرداً روحياً لا ينقطع عن المسلم. بل يتزايد باطراد محدداً إيمانه بالله وكتابه ورسوله. ومقوباً خشيته وتقواه وشـطره ورجاءه. ومضاعفاً بذلك جهوده الصالحة في سـبيل الله. فكلما اسـتهلكت المسلم تكاليف الحياة أسعفته الصلاة بشحنه من الطاقة الروحية تمد له في مسعاه مداً)[2]

لذا فقد أمره الله سبحانه وتعالى بالاستعانة بالصلاة علي ما قد قدر لعباده في الحياة فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[3]

ووجه الخطاب لنفسه » فقال: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ ﴾[4]

وقال تعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾[5]

فـكل هذه الآيات المتقدمة تؤكـد أهمية الصلاة وأثرها الكبير عـلي النفس مما تجلبه من طمأنينة في القلب تجعل العبد يأنس بالله تعالى فيبعد عن معاصيه ويصبر علي امتحانه وبلاه.

(١) رواه أحمد في مسنده، مرجع سابق

(٢) حسن عبدالله الترابي، الصلاة عماد الدين، ط دار الفكر الخرطوم ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ١٢٣٢

(٣) سورة البقرة، آية رقم (١٥٣)

(٤) سورة العنكبوت، آية رقم (٤٥)

(٥) سورة البقرة، آية رقم (٤٥)

المبحث الرابع
الأمور التي تسلب الطمأنينة

علمنا مما تقدم أن للطمأنينة أسباب تجلبها علي البعد فإذا تمسك بها كان مطمئن القلب راضي النفسي وإذا بعد العبد عن أسباب الطمأنينة وركب خلافها أتاه عدم الأمن والخوف من كل حدب وصوب. وسنتناول في هذا المبحث الأمور التي تسبب زوال طمأنينة العبد. وأهمها أمر أن الكفر والشرك بالله واقتراف المعاصي والذنوب وإليك بيان ذلك:

أولاً: الكفر والشرك بالله:

الشرك والكفر من اكبر الأسباب التي تجلب علي الإنسان الخوف وعدم الطمأنينة كما جاء ذلك في معني قوله: ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[1]

وقد شبه القرآن حالة الصراع والقلق والحيرة والضياع التي تصيب الإنسان الذي يفقد إيمانه بالله بقوله: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾[2].

وضرب الله تعالى المثل للحالة التي يعش فيها الكافر والمشرك من عدم الطمأنينة والاستقرار علي حال بقوله: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾[3].

فهذا حال من امن بالله وحده فسكتن نفسه إليه وطمأن إلي قضاه. وحال من أشرك به فتنازعته الأهواء فلم يستقر علي حال ولم يهدا له بال. ذلك لان الله تعالى خلق الإنسان وجعل لكل عضو من أعضاءه كمالاً إذا فقده أحسن بالألم. كما بين ذلك الإمام ابن القيم رحمة الله بقوله (خلق الله سبحانه ابن ادم وأعضائه. وجعل لكل عضو منها كمالاً إذا فقده أحسى بالألم. وجعلها لملكها وهو القلب كمالاً. إذا فقده حفرته أمقامة والأمة من الهموم والغموم والأحزان)، فإذا فقدت العين ما خلقت له من قوة الأبصار. وفقدت الأذن ما خلفت له من قوة السمع.واللسان ما خلق له من قوة الكلام. فقدت كما لها.

والقلب: خلق لمعرفة فاطره ومحبته وتوحيده والسرور. والابتهاج بحبه والرضي عنه. والتوكل عليه. والحب فيه. والبغض فيه. والموالاة فيه. والمعاداة فيه ودوام ذكره. وان يكون أحب إليه من كل ما سواه وارجى عنده من كل ما سواه. واجل في قلبه من كل ما سواه. ولا نعيم ولا سرور ولا لذة. بل ولا حياة إلا بذلك. وهذا بمنزله الغذاء والصحة. فإذا فقد غذاءه وصحته وحياته. فالهموم والغموم والأحزان مسارعة من كل حدب وصوب إليه ورهب مقيم

(١) سورة الأنعام، آية رقم (٨٢)
(٢) سورة الحج، آية رقم (٣١)
(٣) سورة الحج، آية رقم (٣١)

عليـه)[1] وهذا الكلام يدل عـلي أن الإيمان هو الذي يجلب للإنسـان الطمأنينة والسرور وإن الكفر والشرك بنقيض ذلك كما بين سـبحانه تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾[2].

وقـد مثـل الله تعالى عن اثر الكفر في إذهـاب الطمأنينة بقول: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾[3].

وجاء التفسـير (وهذا مثل أهل مكة لأ نهم كانوا في الأمـن والطمأنينة والخصب من انعم الله عز وجل عليهم بالنعمة العظيمة وهي إرسـال محمد صلى الله عليه وسـلم وهو منهم فكفـروا به وكذبـوه وبالغوا في ايذاته. وأرادوا قتله فأخرجه الله مـن بينهم وأمره بالهجرة إلي المدينة وسلك علي أهل مكة البلاء والشدائد والجوع كل ذلك بسبب تكذيبهم الرسول (ﷺ)

ثانيا: اقتراف الذنوب والمعاصي:

لا شك أن للذنوب والمعاصي الأثر العظيم في تسويد القلب الذي هو محل الطمأنينة. فتكون هي السبب المباشر في حجب القلب عن الله تعالى الذي هو مصدر كل امن وطمأنينة كما جاء ذلك في حديثه (إن المؤمن إذا أذنب ذنباً نكت في قلبه نكته سـوداء. فإذا تاب ونزع واسـتغفر حنقـل قلبـه. وان زادت. حتى تعلو قلبه. فذلك ألران الذي ذكره الله عز وجل بقوله ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[4]، ثم قال ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[5].

وكل ذلك بسـبب الذنوب والمعاصي وآثارها السيئة. كما تترتب مع ذلك عقوبات كما فصل ذلـك المعني الإمـام ابن القيم رحمة الله وهو يتكلم عن العقوبـات التي تترتب علي المعاصي والذنوب بقوله.

(ومن عقوباتها: ما يلقيه الله سبحانه وتعالى من الرعب والخوف في قلب العاصي. فلا تره إلا خائفاً مرعوبـاً. فإن عقوبة الدنيا والآخرة ومن خرج عنه أحاطت به المخاوف من كل جانب. فمن أطاع الله ايقلبـت المخـاوف في حقه العاصي إلا وقلبه كأنه بين جناحي طائـر. إن حركت الريح الباب قال: جاء الطلب. وإن سمع وقع قدم خاف أن يكون نذيراً بالعطب. ويحسب أن كل صيحة عليه. وكل مكروه قاصداً إليه. فمن خاف الله أمنه من كل شيء ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء.

ومن عقوباتها: أنها توقع الوحشـة العظيمة في القلب فنجد المذنب نفسـه مستوحشـاً. وقد وقعت الوحشـة بينه وبين ربه. وبين نفسـه. وكلما كثرت الذنوب اشـتدت الوحشة. وأمر العيش

(١) ابن القيم، الطب النبوي، مرجع سابق، ص٢٠١

(٢) سورة طه، آية رقم (١٢٤)

(٣) سورة النحل، آية رقم (١١٢)

(٤) سورة المطففين، آية رقم (١٤)

(٥) نفسة، آية رقم (١٥)

عيش المستوحشين الخائفين وأطيب العيش عيش المستأنسين. خلو نظر العاقل ووازن لذة المعصية وما نتوقعه من الخوف والوحشة. ولعلم سوء حاله. وعظيم غيني وما توجيه من الخوف والضرر الداعي له وسر المسألة: أن الطاعة توجب القرب من الرب سبحانه. وكلما اشتد القرب قوي الإنس. والمعصية توجب العبد إلي الآخرة البعد من الرب وكلما ازداد البعد قويت الوحشة)[1]

ثالثا: الهم بالدنيا والحرص عليها:

جعل الله تعالى الدنيا طريقاً ومعبراً إلي الآخرة وقد حذر الله تعالى عباده من الفتنه بالدنيا لأنها غراره وليست بباقية قال تعالى:﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾[2].

وقال في الحديث (الدنيا دار من لادار له ولها يجمع من لا عقل له)[3]

يقول الإمام الغزالي رحمه في الإحياء (أما بعد فان الدنيا عدوة لله وعدوة لأولياء الله لأعداء الله. أما عداوتها لله فإنها قطعت الطريق علي عباد الله ولذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقنا. وإما عداوتها لأولياء الله عز وجل فإنها تزينت لهم يزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا الصبر في مقاطعتها وأما عداوتها لأعداء الله فإنها استدرجتهم بمكرها وكيدها فاقتنصتهم بشبكتها حتى وتقوا لها وغولوا عليها فخذلتهم اجوح ما كانوا إليها فاجتنوا منها حسرة تنقطع دونها الأكباد ثم حرمتهم السعادة ابد الآباد فهم علي فراقها بتحسرون ومن مكايدهم يستغيثون ولا يغاثون بل يقال لهم: ﴿ قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾[4]،﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ إذ هي إلا مزرعة الآخرة.

فإذا بهر الإنسان بالدنيا وزخرفها واعتقد أنها هي غايته وهدفه فانه يسعى في هواها ويحبها وهي المتقلبة المتغيرة فتعطي له يوماً وتمسك يدها أياماً. ترغبه حيناً وترهبه أحياناً فيقف بين اليأس والأمل بين القلق والاستقرار بين الرغبة والرهبة بين الظلام والنور فلا يعرف طريقه ولا يتبين سبيله. فيحيا في الدنيا حياة قلقة مضطربة لا يتذوق فيها هناء. ولا يعرف أمناً.

وإذا خلد الإنسان إلي نور الإيمان وعرف أن دنياه قصيرة وأن آخرته هي ألأبقي وأن ما يكابده في رحلته في الدنيا الي الآخرة من نفع وضر وإنما هو لصالحه وذلك لتربية نفسه وتعدها علي مكارم الأخلاق والصبر علي الفاجعات. قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[5] وبذلك تكسب نفسه السكنية والطمأنينة والأمن فتصبح

(١) ابن القيم، الداء والدواء/ ط. دار التقوى للتراث، القاهرة/ ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص٧٧

(٢) سورة آل عمران، آية رقم (١٨٥)

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٦، ص٩٧، حديث رقم ٢٤٤٧٣

(٤) سورة المؤمنون، آية رقم (١٠٨)

(٥) سورة الحديد، الآيتان (٢٢-٢٣)

صابــرة نقيه قوية مؤمنــه تؤجل مطالب دنياها الزائلة لأخرتها وتقبــل علي ما هو خير وابقي وتنبذ ما هو لهو ولعب. قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[1] ومما تقدم نعلم أن الركون إلي الدنيا والاجتهاد في طلبها هو من الأمور التي تجلب للإنسان القلق وعدم السكون والطمأنينة لان الدنيا لم تخلق لتطلب ولكن لتكون طريقا إلي دار البقــاء. ولان الدنيــا كما يصفها الأمام الغزالي (من خدمها فاتته ومن اعرض عنها واتته لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن المنغصات. سلامتها تعقب السقيم وشــبابها يقود إلي الهرم ونعيمها لا يثمر إلا الحــسرة والندم فهي خداعة مكارة طيارة قراره لا تزال تتزين لطلابها حتى إذا صاروا من أحبابها كشرت لهم عن أنيابها وشوشــت عليهم مناظم أســباب بها وكشــف لهم عن مكنون إعجابها فإذا أفتهم قوزاتل ســهامها ورشــقتهم بصوائب سهامها بينها أصحابها منها في سرور وإنعام إذ ولت عنهم كأنها أضغاث أحلام ثم عكرت عليهم يدوا هيها فمطحنتهم طحن الحصيد ووراتهم في أكفانهم تحت الصعيد)

(١) سورة الأعلى، الآيات (١٦-١٧)

الخاتمة

نحمد تعالي حمداً كثيراً أن وفقنا لإتمام هذا البحث ونسأله تعالى القبول وأن يغفر لنا ما قد قصرنا فيه. ونسأله تعالى أن ينفع به وبالدروس والعظات الطيبة التي حواها منها ؛وقد توصلنا في ختام البحث على النتائج التالية :

أولاً: الطمأنينة والسكينة من الأمور المهمة التي يسعى لها كل فرد في حياته.

ثانيـاً: للطمأنينة أمور تجلبها علي رأسـها الإيمان بالله تعـالي وما ينفرع منه من حبه تعالى وذكره وشكره وتلاوة القرآن.

ثالثـاً: الكفـر والمعاصي مـن اكبر العوامل التي تجلب للإنسـان القلق والخـوف فإذ ا أراد الإنسان الاطمئنان والأمن فلا بد له من ترك المعاصي.

رابعـاً: الدنيا دار ممر هي مزينه في نفس الإنسـان بالمال والبنون والشـهوات فالعاقل من جعلها مطيه لأخرته متمثلا وعاملا بقوله صلى الله عليه وسـلم (الكيس من دان نفسـه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى علي الله الأماني).

خامسـاً: الصـلاة هي محطة مهمة في حياة المسـلم بها يعرف و بها تصلـح الأعمال و بها الأمن والسـكنية وبها تنفيس الكـروب وقضاء الحاجات فحري بمن أقامها أن يكـون أمناً مطمئناً في الدنيا والآخرة. وختاماً اللهم إني أسالك نفساً بك مطمئنة تؤمن بلقائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين